الصرف وميدانه

الصرف لغة: وله معان عدة، وذلك حسب المجال والسياق الذي تستعمل فيه، ومحاولة الاطلاع على ذلك نورد بعض ما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة في مادة (صرف):

صرَفَ يصرِف، صَرْفًا، فهو صارِف، والمفعول مَصْروف

- صرَف المالَ ونحوَه: أنفقه "صرَف أموالَه على أسرته- صرف وقتَه في القراءة
- صرَف العُملةَ: حوَّلها وبدَّلها بمثلها، باعها بعملة أخرى "صرَف الدينارات إلى ريالات" صرَف همَّه إليه: انقطع له.
- صرَف الشَّخصَ:

1 - خلَّى سبيله "صرَف التلاميذَ من المدرسة".

2 - ردَّه، أمره بالابتعاد "صرَف الشحَّاذَ اللحوحَ".

- صرَف اللهُ قلوبَهم: أضلَّهم " ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة/127
- صرَف الاسمَ: (نح) جرَّه بالكسرة "هذه كلمة ممنوعة من الصَّرف: ممنوعة من التنوين والجرّ بالكسرة".
- صرَفه عن الأمر: ردَّه عنه "صرفه عن استعمال العنف- صرف نظره عن الأمر: أهمله وتركه- ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ [1] يوسف/34 ، ويبدو من هذه الاستعمالات ومعانيها أن المعنى الذي يتصل بالصرف هو التغيير والتحويل؛ وذلك لأن الكلمة عند تصريفها تأخذ أشكالا وصورا مختلفة.

الصرف اصطلاحا: وقد خاض علماء كثيرون في التعريف به وتحديد مفهومه، غير أننا سنكتفي بذكر بتعريف نعتقد أنه يفي بالغرض " ... علم بأصول تعرف بها أبنية الكلم وأحوالها التي ليست بإعراب ولا بناء الآخر..."[2] فالعلم بالأصول يعني: معرفة القواعد والضوابط، وأبنية الكلم: صِيَغُها وأوزانها وشكلُها أو الصور التي تأتي عليها، والمقصود بأحوال أبنية الكلم أوضاعها المختلفة التي تأتي عليها كالتصغير والنسبة، والتثنية والجمع، والحذف والإبدال وغير ذلك من المسائل التي لا تتعلق بمسائل الإعراب والبناء، لأنهما من قضايا النحو، ولا علاقة لهما بالصرف.

نشأة علم الصرف: علم الصرف علم لصيق بالنحو، ومن الصعب الفصل بينهما، حيث نشآ باعتبارهما كيانا واحدا، والفصل بينهما جاء متأخرا، غير أن بعض الباحثين ومنهم السيوطي (ت 911هـ) الذي يذكر روايات ثلاثا استبعد اثنتين ورجح ثالثتها؛

الرواية الأولى: أن شيخه الكافيجي قال بأن معاذ بن جبل يعد أول من تناول مسائل الصرف، ولم يبرهن على صحة ما قال، والرواية الثانية: أنه أسند التأليف الأول للصرف لعلي بن أبي طالب، ومعلوم أن الإمام علي وجّه أبا الأسود لوضع المبادئ الأولى لعلم النحو

الرواية الثالثة: أن معَاذ بن مُسلم الهراء (ت 187هـ) أَول من ألّف في الصرف، وقد استند السيوطي في ذلك لشيئين:

1- أن أبا مسلم الرؤاسي من قدماء النَّحْوِيين كان قد نظر فِي النَّحْو، فَلَمَّا أحدث [النَّاس] التصريف أنكرهُ، فَقَالَ:

---

[1]- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (صرف)

[2]- رضي الدين الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط1. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: 2004، ج1/ص 168

قد كَانَ أَخْذُهم فِي النَّحْو يُعجبنِي حَتَّى تعاطوا كَلَامَ الزِّنجِ وَالرُّومِ
لما سَمِعتُ كلَاماً لستُ أفهمُهُ كَأَنَّهُ زَجَلُ الْغِرْبَانِ والبومِ
تركتُ نَحْوَهم وَاللهُ يعصمني من التقحّم فِي تِلْكَ الجراثيم

فَردّ عليه معَاذ الهرّاء:

عالجْتَها أَمْرَد حَتَّى إِذا شبْتَ وَلم تحسن أبا جادها
سميتَ من يعرفهَا جَاهِلا يصدرها من بعد إيرادها
سهّل مِنْهَا كلَّ مستصعب طودٌ علا أَقْرَان أطوادِها

2- كَانَ أَبُو مُسلم قد جلس إِلَى معَاذ فَسَمعهُ يَقُول لرجل: كَيفَ تَقول من " تَؤُزُّهم أَزّاً "، يَا فَاعل أفعل؟ ثم يعقب السيوطي على هذه الرواية قائلا: " ومن هنا لمحتُ أن أول من وضع التصريف معاذ هذا" [1]

وهو استنتاج غير منطقي ولا واقعي، فهل من يشيد بعلم ما يعتبر مبدعه الأول؟ وهل من يبحث عن الميزان الصرفي لكلمة أو اثنتين يعتبر أول من ألّف في ذلك العلم؟ وعلى الرغم من ذلك فقد وجدنا بعض الباحثين المحدثين يرددون قول السيوطي ويؤكدون عليه[2]مع العلم أن صاحب الفهرست وهو ابن النديم (ت 438هـ) وهو أقدم من السيوطي زمنا وأقرب إلى المؤلفين الأوائل يقول عن معاذ الهراء: "ولا كتاب له يُعرف" [3] لذلك فإن رواية السيوطي تفتقر إلى الدليل

والخلاصة أن التأليف في التصريف ودراسته قد نشأ مع النحو، والدليل على ذلك أن كتاب سيبويه (ت 180) وهو أول كتاب وصل إلينا في هذا المجال يشتمل على موضوعات في النحو إلى جانب موضوعات في الصرف؛ فقد تحدث عن المجرد والمزيد من الأسماء الثلاثية والرباعية، والخماسية والأفعال بأنواعها المجردة والمزيدة، ومواضع الزيادة، وكيفية معرفة الحروف المزيدة... وتحدث عن النسب والتصغير، والمعتل ، والقلب" [4] وغيرها من القضايا، وعلى الرغم من أن سيبويه أسبق من الهراء زمنا فإننا لم نسمع – حسب علمنا- أحدا قال: إن سيبويه أول من ألّف في الصرف، فقد سبقه إلى ذلك علماء كثر، وهو في كتابه يشير إلى ما أخذه عن شيوخه ولم يدّع السبق فيه.

وأما التأليف المستقل في علم الصرف فقد تأخر نسبيا عن علم النحو كما سنرى ذلك لاحقا.

أهم المؤلفات في علم الصرف:

- «كتاب التصريف» لأبي عثمان المازني (ت 249 هـ) وهو أول كتاب وصل إلينا خاصا بالصرف
- «دقائق التصريف» لأبي القاسم المؤدب (ت 338هـ) وتكمن أهمية هذا الكتاب أن صاحبه قد استعمل مصطلحات لم يسبقه إليها من تصدى للتأليف قبله.[5]
- «المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني» لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) وهو شرح وتوسيع للمسائل التي تناولها المازني.
- «التصريف الملوكي» لأبي الفتح عثمان بن جني

---

[1] – السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ج2/ ص 291

[2] – سامح أبو مغلي، علم الصرف، ط1. دار البداية، الأردن، ص 9

[3] – الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت: 1997، ص 90

[4] – هادي نهر، الصرف الوافي، ص 12، 13

[5] – هادي نهر، الصرف الوافي، ص 14.

- «العُمُد» في التصريف لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)
- المفتاح في الصرف لعبد القاهر الجرجاني
- «الممتع في التصريف» لابن عصفور الإشبيلي (ت 669هـ) وهو مؤلف أندلسي، مطبوع في جزأين
- «شرح شافية ابن الحاجب» لرضي الدين الأستراباذي (ت 686هـ) وقد طبع في أربعة أجزاء، يقول عنه الباحثون إنه يتميز بالدقة وسعة البحث في قضايا الصرف، والعناية بترتيب موضوعاته، ولذلك فإن من جاء بعده اعتمدوا عليه في تآليفهم، ولم يضيفوا شيئا ذا أهمية إلى هذا العلم.

- **ميدان الصرف:**

- **ميدانه** اللفظة المفردة من الأسماء المعربة والأفعال المتصرفة [1] فالأسماء المعربة قابلة للتحويل من مفرد إلى مثنى وجمع، وتصغيره، والنسبة إليه، مثل كتاب، فنقول: كتابان، وكُتُب، وكاتب، ومكتوب، ومكتب، وكتابة. وكتابي، وكتيب. وبالنسبة للأفعال المتصرفة فهي قابلة للاشتقاق؛ إذ يؤخذ منها الماضي والمضارع والأمر، والأسماء المشتقة المختلفة.

- **ما لا يتناوله الصرف:**

- الأسماء الأعجمية، مثل إسماعيل، وإبراهيم، وهارون، ويوسف، وهي وإن كان البعض منها يقبل بعض التصريف فذلك محدود لا يمكن تعميمه.
- الأسماء المبنية؛ لأن الأسماء المبنية مثل أسماء الاستفهام: منْ، وما، ومتى، وأسماء الشرط، وأسماء الموصول، والضمائر، فهي غير قابلة للتحويل، ولكنها تحتفظ بصورة واحدة.
- أسماء الأصوات وأسماء الأفعال، فأسماء الأصوات مثل: غاق للغراب، وماء للظبية، وعاج لزجر الناقة، وكذلك أسماء الأفعال، مثل اسم الفعل الماضي: هيهات، وشتّان، والمضارع: أُفٍّ، والأمر، مثل: حِيَّ، آمين، فهي مبنيات.
- الأفعال الجامدة، وذلك مثل: ليس، وعسى، ونِعْمَ وبئس، فهي غير قابلة للتصريف.
- الحروف وأشباهها: مثل أحرف الجواب والتفسير، وأحرف النفي (لا- ما) فالحروف لا تتصرف ولا اشتقاق فيها، فهي تحافظ على صورة واحدة، وأشباه الحروف مثل: مَنْ و كم، إذْ تدخل كذلك في حكم الحروف لبنائها.

تمرين تطبيقي: حدد من خلال الأبيات الآتية الكلمات التي يتناولها الصرف، وتلك التي لا تدخل في نطاقه:

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حَصَاتي ... ونـاديـتُ قـومي فاحتسبـتُ حياتي
رَمَوْني بعُـقْمٍ في الشّـبابِ، وليتني ... عَقِمْتُ، فلمْ أجـزعْ لقـول عُـداتي
ولـدتُ ولـمّا لم أجِـــدْ لعرائـسي ... رجـــالًا، وأكْفَـاءً وأدتُ بنـــاتي
وَسِعْـتُ كتـابَ الله لفـظًا وغايـةً ... وما ضِـقْتُ عَنْ آيٍ به وعِـظَاتِ
فكيف أَضِيقُ اليوم عنْ وَصْفِ آلةٍ ... وتَنْسِـــيقِ أسـماءٍ لمخـترعاتِ
إلى معشرِ الكتاب والجمع حافل ... بسطتُ رجائي بعد بَسْطِ شَكَاتي
فإمّا حياة تبعثُ المَيْتَ في الْبِلَى ... وتنبـتُ في تلك الرُّمُـوسِ رُفَـاتي
وإمّـا ممـاتٌ لا قيـامـةَ بـعـده ... مَمَاتٌ لَعَـمْرِي لم يُقَـــسْ بمماتِ

[1] – عبد اللطيف محمود الخطيب، المستقصى في علم الصرف، مكتبة دار العروبة، ط1. الكويت: 2003، ص 40